

الفصل الثامن

فى سرعة أجوبة الأذكىاء وعبارات الفضلاء

□ الثقة لا ينم !! :

● قال رجل للأحنف بن قيس : أخبرنى ثقةً عنك بسوء ، قال له : الثقة لا ينم .

□ هدم ما بناه غيرنا ! :

● وأمر أمير المؤمنين الرشيد يحيى بن خالد بهدم إيوان كسرى !، فقال يحيى ابن خالد : يا أمير المؤمنين ما الحاجة إلى هدم بُنيان يدل على فخامة شأن بانيه ؟! فقال : اهدمه ولا تراجعنى فيه !، فحسبَ مقداراً ما يُصرف على هدمه فجاء جملة كثيرة ، فاستكثرها الرشيد ورجع عن ذلك ، فقال له يحيى : ما كان أغناك عن ظهور عجزك عن هدم ما بناه غيرك ! .

□ كلها بقيت إلا كفها :

● وقالت عائشة - رضى الله عنها - : ذبحنا شاة وتصدقنا بها فقلت : يا رسول الله مابقى منها شيء إلا كفها ، فقال رسول الله - ﷺ - : « كلها بقيت إلا كفها »^(١).

□ أنا أكرم على الله ! :

● وقيل للمسيح - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - : لو سألت الله أن يرزقك حماراً يحمل رحلك ، فقال : « أنا أكرم على الله أن يجعلنى خادماً حمار » .

(١) هذا حديث صحيح أخرجه الترمذى عن عائشة (٢٤٧٢) وصححه محقق رياض الصالحين للنوى (ص ٢٧٥/ ط مؤسسة الرسالة) .

□ ومن يعرف إخواني القدماء ؟!

● وقيل ليحيى بن خالد : غير حاجبك ، فقال : ومن يعرف إخواني القدماء ؟!

□ لم غرر بك أبوك في الحرب ؟!

● وقال رجل لمحمد - ابن الحنفية - بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : لِمَ غرر بك أبوك في الحروب ولم يغرر بالحسن والحسين ؟ فقال : لأنهما عَيْنَاهُ وأنا يمينه فهو يدفع بيمينه عن عينيه ؟.

□ ما دينك ؟

● وسأل الحسن بن سهل بن دينار عبد الله بن عبد الملك : ما دينك ؟ فقال : ما ظننت أن حياً يُسأل عن هذه المسألة ، لأنها مسألة « منكر ونكير » للميت ، ديني الإسلام وطاعة الأمير .

□ أشد ما يمر بمن فقد بصره :

● وقال المتوكل لأبي العيناء : ما أشد ما مرَّ عليك في ذهاب بصرك ؟ قال : فوْتُ رؤيتك يا أمير المؤمنين ! ، فاستحسنها منه وأمر له بجائزة ! .

□ كيف سُرِقَ الحمار ؟!

● وغاب أبو العيناء عن المتوكل مدة ثم دخل عليه فقال له : ما أقَعَدَكَ عَنَّا يَا أبا العيناء ؟! قال : سُرِقَ حماري يا أمير المؤمنين ، قال : كيف سُرِق ؟ فقال : ما كنت مع اللص فأعرف كيف سرقه ، قال : فما منعك أن تزورنا على غيره ؟ قال : ثلاث يا أمير المؤمنين ، قال : ماهن ؟ قال : قِلَّةُ يَسَارِي ، وَمِثَّةُ الْعَوَارِي ، وَذِلَّةُ الْمَكَارِي^(١).

(١) قلة يسارى : اليسار اليسر والمال ضد العسر ، فهو قليل اليسار ولا يجد ما يساعده على الذهاب إليه . والعوارى جمع عارية ، وهى الشيء المستعار من الغير وفي استعارة دابة تحملنى مئة للغير على ، والمكارى من يؤجر الدواب لكى يركبها الناس .

□ حمار أبى العيناء وحير الناس ! :

● وقيل لأبى العيناء : ما بال الحمير إذا أَحَسَّت بالرجوع إلى مرابطها والقرب من دور أهلها أسرع المشى وتركت البطء والتخاثر ! إلا حمارك يأبأ العيناء إذا قرب من دارك تخاثر فى المشى ؟ قال : لعلمه بسوء المنقلب ! .

□ ما بال شذقك أعوج ؟ ! :

● وأضاف بعض البخلاء قومًا فلما أكلوا نظر إلى واحد منهم وقال له : ما بال شذقك أعوج^(١) ؟ قال : عقوبة من الله لكثرة ثنائى عليك بالباطل ، لأنى أقول للناس إنك كريم .

□ هلمّ ياعمرو ؟ :

● ودخل عمرو بن العاص على معاوية وهو يتغدى فقال : هلم ياعمرو فقال : هنيئاً ياأمير المؤمنين فإنى لم يبق فى فضلته للأكل . فقال معاوية : ما أقبح الرجل إذا ملأ جوفه حتى لم يبق فيه فضله . فقال : ياأمير المؤمنين فى فضلته وإنما أخشى إلى أن أصير إلى ما استقبحه أمير المؤمنين .

□ البيت الذى لم يحتفل به المأمون

● وقال عبد الله بن أبى السمط لعمارة : ما لى أرى المأمون لا يُحسِن سماعَ الشعر ؟ فقال عمارة : ومن أفرس فيه منه ؟! والله إنا لننشده البيت من الشعر فيسبقنا إلى آخره ولم يكن سمعه قط ! . قال : فما بالى أنشدته بيتاً فلم يحتفل به ، ولا تحرك لسماعه ؟ فقال عمارة : وما البيت ؟ فقال عبد الله :

أضحى إمام الهدى المأمون مشغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغلاً
قال : ما قلت شيئاً ، إنما جعلته عجوزاً فى محرابه وفى يده سُبْحته ! فمن يقوم بأمر المؤمنين إذا كان مشغولاً عن رعيته ؟ ! .
لم لا قلت كما قال جرير فى عبد العزيز بن مروان حين قال :

(١) لكل منا شذقان ، وهما جانبنا النعم .

فلا هو في الدنيا مُضَيِّعٌ نَصِييْهُ ولا عَرَضُ الدُّنْيَا عن الدين شَاغِلُهُ^(١)

□ رجل يجب أن يكون مع القواعد من النساء ! :

● وقال المبرد^(٢): أتى رجل إلى عامل البصرة وكان هذا العامل قد ولّاه المنصور الإجراء^(٣) على القواعد من النساء اللاتي لا أزواج لهن ، وعلى العميان والأيتام ، فقال : أسألك أيها العامل أن تُثَبِّتَنِي مع القواعد من النساء ، قال : يا هذا أنت رجل والقواعد نساء ! .

قال : ففى العميان ، قال : فإنى أراك بعينين ، لكن فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قال : فثبت أولادى في الأيتام ! ، قال : كيف يكون أولادك أيتاماً وأنت تعيش لهم ؟ ! .

قال : ومَرَّتِ الأيام فإذا هو قد أثبتته مع العميان وأثبت أولاده مع الأيتام .

□ أنا ابن جدك آدم ! :

● ووقف رجل للوائح بالله فقال : ياأمير المؤمنين ؛ صَلِّ رَحِمَكَ ، وارحم أقاربك ، وأكرم رجلاً من أهلك ! .

قال : من أنت فإنى لم أعرفك قبل اليوم ؟ ! فقال : أنا ابن جدك آدم ! ، قال : ياغلام أعطه درهماً ، فقال : ياأمير المؤمنين وما أصنع به ؟ قال : إني لو قسمت بيت المال على إخوتك من أولاد جدى . من آدم - لكان ينوبك منه حبة ، فقال : لله دَرَكُ ياأمير المؤمنين ما أذكاك ؛ فأمر له بعتاء وانصرف ! .

□ كيف كان حال أمك حين حملتك ؟ ! :

● ومَرَّ جرير على جماعة نسوة وهو راكب على بغلة ، وهُنَّ يَغْسِلُنَ على بعض المياه ، فَضَرِطَتْ البغلة ؛ فَضَحِكَتِ النسوة ، فقال جرير لهن : أما علمتن

(١) ذكر الطبرى هذه القصة في تاريخ (٦٦٢/٨ - ٦٦٣) أمايت جرير فهو في ديوانه (ص ٤٣٥) .

(٢) المبرد : أحد علماء اللغة وله مصنفات كثيرة في الأدب منها : «الكامل» توفى سنة ٢٨٥ هـ وتجد له ترجمة كاملة في طبقات النحويين واللغويين للزبيدي (ص ١٠٨) .

(٣) يُجرى عليّين من بيت المال ما يقوم بحاجتھن وفي بمطالبن وهو شيء بمعاش الضمان الاجتماعى في عصرنا .

أن كل أنثى تحملنى تفعل كما فعلت هذه البغلة !؟، فقالت واحدة منهن : كيف كان حال أمك حين حملتك تسعة أشهر !؟.

□ أفلا أبكى على ولد أكسبني مثلك !؟ :

● وقيل : دخل المأمون على أم الفضل بنت سهل وقد مات ولدهما الفضل : أما تَرْضَيْنَ أن أكون لك عوضاً من ابنك ؟ قالت : أفلا أبكى على ولدٍ أكسبني مثلك !؟ .

□ لو كنت كذلك لم تقله !! :

● قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لرجل : من سيد قومك ؟ فقال : أنا يأمر المؤمنين ، فقال له عمر : لو كنت كذلك لم تقله ! .

□ إنك لحليم رزين !! :

● وقال معاوية للحصين بن المنذر^(١) - وكان يدخل عليه في آخر الناس - : ما الذى يبطئ بك إلى آخر الناس ، وأنت أحق بالتقدم بالدخول عليّ ، فقال منشداً :

وَكُلُّ خَفِيفِ الشَّانِ يَمْشِي مُشَمَّرًا إِذَا فَتَحَ الْبَوَابَ بِابِكَ إصْبَعَا
وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَاكُثُونَ رِزَانَةً وَحِلْمًا إِلَى أَنْ يُفْتَحَ الْبَابُ^(٢) أَجْمَعَا
فقال معاوية : إنك لحليم رزين .

□ السلام عليك يا أمير المؤمنين ! :

● وخرج أمير المؤمنين العباسى السفاح متنزهاً بالأنبار ، فأمعن في تنزهه وانفرد عن أصحابه فوافى خِباءً لأعرأى ، فقال للأعرأى : من أنت ؟ أصحاب هذا الخباء ؟ قال : نعم ، فمن أى القبائل أنت ؟ قال : من كِنانة : قال : من أيها أنت ؟ قال : من أبغض كنانة إلى كنانة ، قال : تكون قرشياً ، قال : فمن أيها أنت ؟ قال : من أبغض قریش إلى قریش ، قال : تكون من ولد

(١) فارس شاعر كان معه راية على يوم صفين دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة ، وكان من كبار التابعين .

(٢) تجد هذين البيتين في البيان والتبيين للجاحظ (٢/١٩٠) .

عبد المطلب ، قال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ،
فاستحسن ما رآه من جذقه^(١)، وأمر له بجائزة حسنة .

□ يخطب في الأرض السفلى ! :

● وقال المتوكل يومًا لجلسائه : أتعلمون أول ما عتب الناس ، قال :
عثمان بن عفان - رضى الله عنه - قالوا : يا أمير المؤمنين بماذا ؟ قال : لأنه
لَمَّا توفي رسول الله - ﷺ - قام أبو بكر يخطب على المنبر ، دون مقام رسول
الله - ﷺ - بدرجة ، فلما ولى عمر بن الخطاب نزل عن مقام أبى بكر درجة ،
فلما ولى عثمان - رضى الله عنه - صعد على أعلى المنبر مكان رسول الله - ﷺ -
فأنكر المسلمون عليه ذلك ، وكان المراد أن يكون دون درجة عمر - رضى الله
عنه - فقال عبادة : يا أمير المؤمنين ما أحد أعظم منَّه عليك من عثمان - رضى الله
عنه - قال : وكيف ذلك ؟ قال : كونه صعد المنبر فرقى أعلاه ، ولو كان كل من
ولى نزل عن مقام من تقدمه درجة كنت أنت اليوم تخطب على الأرض السفلى !.

□ هكذا تؤمك إذا جمعت ! :

● وسأل رجل فقيهاً عن الخمر أحلال هى أم حرام ؟ فقال له :
حرام ، قال الرجل : ما تقول فى العنب والزبيب والتمر أحلال هى أم حرام ؟
فقال له : حلال ، قال : فما تقول فى السُّكَّر والقند^(٢) والعسل ؟ قال :
حلال ، قال : فأى شيء حلل هذا وحرم هذا ؟!، فقال الفقيه : رأيت لو
أخذت كفاً من تراب ، ولطمت به وجهك أو صدرك أكان يؤمك ؟!

قال : لا ، قال : فلو أخذت كفاً من ثِنين أكان يؤمك ؟ قال : لا ،
[قال] : فلو أخذت الترابَ والثِّينَ والماءَ فجمعتهما وجَبَّتهما ووضعتهما فى الشمس
أياماً ثم ضربت بها وجهك ، أكان يؤمك ؟ قال : نعم ، قال : وهكذا إذا
جمع هذا وعنت حرم ، وإذا جمع هذا وعنت آم .

(١) جذقه : مهارته ، وذكائه .

(٢) القند : غسْلُ قصب السكر إذا جُمِد .

□ أسئلة وجهت إلى الإمام الشافعي - رضى الله عنه - :

● وكتب بعض علماء الإمام مالك - رضى الله عنه - للإمام الشافعي - رضى الله عنه - : ياإمام لى خالة وأنا خالها ، ولى عمة وأنا عم لها ، فأما التى أنا عم لها فإنها التى أمه أمها وأبوها أختى وأخوها أختى على سنة قد جرى رسمها . وأما التى أنا خال لها فإن أبا الأم جدّها لها ولسنا مجوساً ولا مشركين بل سنة الحق نأثمها ؛ فأين الإمام الذى عنده جلّها فى التناكح أو أين من يحمل علماً يبين لنا كيف أنسابنا ومن أين كان كذا حكمها ؟ .

فكتب إليه الإمام - رضى الله عنه - : القائل لهذه المسألة رجل تزوجت جدته لأبيه - يعنى أم أبيه - بأخيه لأمه ، وتزوجت أخته لأبيه بأبى أمه ، وأولّداهما بنتاً وابناً فبقيت جدته عمته وهو عمها ، وبنت أخته خالته وهو خالها .

□ ما تقول ياإمام فى الفرض وفرض الفرض ؟ :

● وكتب له بعض علماء الإمام مالك - رحمه الله - : ياإمام ، ما تقول فى الفرض وفرض الفرض ، وما يتم به الفرض ، وصلاة لا فَرَضَ ، وصلاة تركها فرض ، وصلاة بالطول والعرض ، وصلاة بين السماء والأرض؟! فكتب - رضى الله عنه - : أما قول القائل الفرض : فهو الحَمْسُ صلوات ، أما فرض الفرض : فهو الوضوء .

وأما قوله : ما يتم به الفرض : فهو الصلاة على رسول الله - ﷺ - .

وأما قوله : صلاة لا فرض : فهى صلاة الصغير قبل البلوغ .

وأما الصلاة التى تركها فرض : فهى صلاة السَّكران .

وأما الصلاة التى بالطول والعرض فهى صلاة يونس فى بطن الحوت .

وأما الصلاة التى بين السماء والأرض فهى صلاة رسول الله - ﷺ - ليلة المعراج .

□ أَكُلَّ العلم سمعت ؟ :

● وتكلم شاب يوماً فى مجلس الشعبى ، فقال الشعبى : ما سمعنا بهذا ، فقال الشاب : أَكُلَّ العلم سمعت ؟ قال : لا ، قال : فشطره ؟ قال : لا ، قال : فاجعل هذا فى الشطر الذى لم تسمعه ، فافجَم الشعبى ! .

□ الويل لك ! :

● وحملت امرأة يزيد فقالت له - وكان قبيح الصورة - : الويل لك إن كان يشبهك ، فقال لها : والويل لك إن لم يشبهني ! .

□ لقد حان خروج الدجال ! :

● ورأى رجلٌ من الأعاجم رجلاً أعور فقال له : قد حان خروج الدجال : فقال له : إنه يخرج من بلاد الأعاجم لامن بلاد العرب ! .
● واستأجر رجل غلاماً ليخدمه فقال له : كم أجرتك ؟ فقال : أشيع بطني فقال : سامحني ! ، فقال : أصوم الاثنين والخميس .

□ وأكرم نفسي ! :

● وحكى الأصمعي قال : اجتزت - يعنى مررت - يوماً في بعض سكك الكوفة وإذا برجل قد خرج من حُشٍّ^(١) وعلى كتفه جرة وهو يقول :

وأكرم نفسي إننى إن أهنتها وحَقِّك لم تُكرم على أحدٍ بعدى
قال : فقلت له : تكرمها بماذا ؟ وبما أنت فيه ؟ فقال : نعم وأستغنى
عن سِفلةٍ مثلك إذا سألت تقول صنع الله لك ، فقلت تراه عرفنى ، فأسرعتُ
فصاح بى : ياأصمعي ، فالتفت فقال :

لَنَقْلُ الصَّخْرِ مِنْ قُلُلِ الْجِبَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَنِّ الرِّجَالِ^(٢)
يقول الناس إن الكسب فيه عار وكُلُّ العار في ذلِّ السَّوَالِ

□ رَدُّ قاسٍ ! :

● وافتخر قوم من أهل اليمن عند هشام بن عبد الملك فقال لخالد بن صفوان : أجبهم ، فقال : هم بين حَائِكِ بُرْدٍ ، ودَايِعِ جِلْدٍ ، وسائِسِ قُرْدٍ ، ملكتهم امرأة ، ودل عليهم هُدُهد ، وغرقتهم فأرة^(٣) .

(١) الحُشُّ : الكثيف .

(٢) القُلُلُ : جمع قُلَّةٍ وهى أعلى الجبل وقمته ، والمتن جمع مِنَّةٍ .

(٣) وهذا لا يمنع من أن يكون لليمنيين فضلهم ودورهم في خدمة الإسلام ونشره ، ومنهم علماء أفاضل ! .

□ لماذا تأخر إسلامه :

● وقيل : كان حويطب بن عبد العزى قد بلغ من العمر مائة وعشرين سنة^(١)، ستين في الجاهلية وستين في الإسلام ، فلما ولى مروان بن الحكم المدينة دخل عليه حويطب ، فقال له مروان : ماسنك ؟ فأخبره فقال له : تأخر إسلامك أيها الشيخ حتى سبقك الأحداث ، فقال : والله لقد هممتُ بالإسلام غير مرّة كل ذلك يعوقني أبوك عنه وينهاى ويقول : تدع دين آبائك لدين محدث . قال : فأُسكِتَ مَرْوَانُ وندمَ على ما كان . ثم قال حويطب : أما أخبرك عثمان ما كان لقي من أبيك ، فازداد مروان غمًا ! .

□ أحمق ما يكون الشيخ ! :

● وقال مروان لحبيش بن دُلْجَة : أظنك أحمق ، فقال : أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنه .

□ هذا رجل لَقِّنَ حجته !! :

● قال :.حدثني رجل من أهل الرقة عن عبد الملك بن عمر قال : أخذ زياد رجلاً من الخوارج فأقلت منه ؛ فأخذ أخاً له فقال : إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك ، قال : أرأيت إن جئت بكتاب من أمير المؤمنين تُخلى سبيلي ؟ قال : نعم ، قال : أنا آتيك بكتاب من العزيز الرحيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى - عليهما السلام - ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [النجم : ٣٦ - ٣٨] فقال زياد : خلوا سبيله ، هذا رجل لَقِّنَ حُجَّتَهُ ! .

□ ماذا قيل في ؟ :

● ودخل مَحْنَثٌ على العريان بن الهيثم وهو أمير الكوفة فقال : يا عدو الله أَتَتَحَنَّنْتَ وَأَنْتَ مُشَيِّخٌ ؟! فقال : مكذوب علىّ كما كُذِبَ على الأمير أعزه الله ، فاستوى جالساً وقال : وما قيل في ؟ قال : سموك العريان وأنت صاحب عشرين جبة ! .

(١) بالرجوع إلى من عاش ١٢٠ سنة من الصحابة لابن منده نجد أن «حويطب بن عبد العزى» لم يدرك زمن مروان بن الحكم فقد توفي سنة ٥٤ هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان .

□ أحسنت إلى العصفور ! :

● ورمى رجل عصفوراً فأخطأه فقال له رجل آخر : أحسنت ، فغضب الرامي وقال : أتتري بي ؟ فقال : لا ولكن أحسنت إلى العصفور إذ لم تصده .

□ من هذا أضحك !! :

● وحكى أن رجلاً أضاف رجلاً فبيته في داره ، فأنبته صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الضيف من أعلى الدار ! فصاح به : فلان ، فقال : لييك ، فقال له : إنك كنت أسفل الدار ! ، فقال : تدرجتُ ، فقال : الناس يتدرجون من العلو إلى السفل ، فكيف تدرجت أنت ؟! قال : فمن هذا أضحك !! .

□ كيف لا أعرفهما ؟! :

● وقال رجل لبعض المغنين : والله ما تعرف الثقيل الأول ولا الثقيل الثاني . فقال : وكيف لا أعرفهما وأنا أعرفك وأعرف أباك .

□ هكذا اليهود ! :

● وقال صبي ليهودي : قف ياعم حتى أصفعك ، فقال : أنا مستعجل اصفع أخى ! .

□ ما تصنع في هذه القرية ! :

● ودخل فقير إلى قرية فقيل له : ما تصنع في هذه القرية ؟ فقال : ما صنع موسى والخضر - يعنى : أستطعم^(١) أهلها .

□ بل اتبعانى أنتم ! :

● واستدعى رجل مغنيين إلى بيته فلما جلسا وأرادا أن يغنيا قال أحدهما للآخر : اتبعنى ، فقال الآخر : لا بل اتبعنى أنت ، فلما طال ذلك بينهما قام صاحب الدار فوقف على الباب ، وقال : بل اتبعانى أنتم .

(١) أطلب منهم أن يطعموني .